الأداة (في) في رؤية المعاصرين: دراسة سياقية

The tool (in) in the vision of contemporaries: a contextual study

الباحثة: باسمة جبار ظفير

أ.د. زكي فليح حسن

كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، جمهورية العراق

Researcher: Basma Jabar thefer

Prof. Dr. Zaki Flaieh Hassan

Faculty of Education for Humanities, Dhi Qar University, Iraq

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان رؤية المعاصرين إلى الأدوات النحوية من جهة سياق والمعنى، وقد تناولت هذه الدراسة الأداة النحوية (في) حيث شملت تأصيل الأداة عند القدماء ابتداءً من سيبويه وحتى الموزعي وخلصت الدراسة إلى الكشف عبر الرؤية المعاصرية لهذه الأداة في النص القرآني متخذة من السياق بشقيه اللغوي (الداخلي) وغير اللغوي الخارجي قرينة للكشف عن معنى هذه الأداة. ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي. وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها: وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: تعد الأداء "في" من أكثر الأدوات استخداماً في اللغة العربية، وهذا ما ظهر في مواضع مختلفة من آي القرآن الكريم، وهناك تنوع واختلاف في اتجاهات علماء اللغة المعاصرين في الكشف عن المعاني التي جاءت بخصوص الأداة (في)، وذهب البعض الآخر إلى القول باختلاف السياقات المتعددة التي ترد بها. وأوصت الدراسة بضرروة إجراء الدراسات والأبحاث المتخصصة في اللغة العربية، مع ضرورة الوقوف على الدراسات اللغوية ذات العلاقة المباشرة بالقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الأداة، السياق، حروف الجر، في، رؤية المعاصرين، سياقياً.

Abstract:

This study aims to clarify the contemporary vision of grammatical tools in terms of context and meaning. Both the linguistic (internal) and the non-linguistic external presumption to reveal the meaning of this tool. To achieve the objectives of the study, the descriptive approach was used. The study reached a number of results, most notably: The study reached a number of results, most notably: The performance “in” is one of the most widely used tools in the Arabic language, and this has appeared in various places in the Holy Qur’an, and there is a diversity and difference in the trends of contemporary linguists in revealing About the meanings that came about the tool (in), and others went to say in the various contexts in which it is contained. The study recommended the necessity of conducting specialized studies and research in the Arabic language, with the need to identify linguistic studies that are directly related to the Holy Qur’an.

kewwords: tool, context, prepositions, in, contemporary vision, contextually.

المقدمة:

تعد اللغة العربية من أسمى اللغات وأشرفها في الكون، وذلك لأنها لغة القرآن الكريم، في حين أنَّ العلاقة بين القرآن واللغة كعلاقة الروح بالجسد، ولذلك نجد أنَّ العلماء قديماً وحديثاً قد بذلوا جهوداً واضحةً لأجل الحفاظ على هذه اللغة وتسهيل عمليات البحث عن أسرارها وتعزيز مكامن ديمومتها، وليس بخافٍ أنَّ القرآن الكريم قد أسهم في المحافظة على بعكس أغلب لغات العالم التي شهدت اندثاراً نتيجة عدم ارتباطها بأطر عقائدية أو دينية، ولهذا السبب نلاحظ أن الغة العربية عاشت طويلاً وما زالت على قيد الحياة وتشهد اتساعاً كبيراً في دراستها في أغلب دول العالم، حيث إنَّ ثمَّة عدد كبير من الجامعات الغربية التي تقوم بتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وهذا الأمر أسهم في مزيد من الانتشار للغة العربية حتى في الغرب، وليس بخافٍ أنَّ هناك العديد من مؤسسات الفكر والبحث تُعنى بدراسة اللغة العربية حتى من خارج العالمين العربي والإسلامي.

تعد الأداة واحدة من الموضوعات التي تناولتها اللغة العربية، بل إنها من صميم اللغة العربية، ولذلك نجد العديد من الأدوات في اللغة العربية والتي يجري استخدامها لأغراض مختلفة تمَّ تعزيزها بوجود آيات القرآن الكريم، ومن الواضح أنَّ الأداة "في" تنتشر في اللغة العربية والقرآن الكريم، وتأتي في آي القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة، فنجد أنها في بعض الأحيان تأتي بمعنى "مع"، ونجدها أيضاً تأتي بمعنى "على".

مشكلة الدراسة:

إن المطلع على آيات القرآن الكريم والمتخصص في دراسات اللغة العربية وآدابها يلاح أنَّ الأداة "في" حازت على مساحة واسعة من نقاشات علماء اللغة العربية، خاصة وأنَّ قد جاءت بمعانٍ مختلفة، ولذلك فهذه الأداة تتميز عن غيرها من الأدوات الأخرى في كثرة استخدامها، ومن هنا تدور مشكلة الدراسة حول رؤى فقهاء اللغة العربية المعاصرين من الأداة "في"، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل التالي:

كيف ينظر فقهاء اللغة العربية المعاصرين إلى الأداة "في"؟

ويتفرع من التساؤل الرئيسي مجموعة تساؤلات فرعية على النحو التالي:

- ما أبرز المعاني التي تخرج إليها "في"؟
- كيف تأتي الأداء بمعنى "على" الاستعلائية؟

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي، وترى الباحثة أنَّ الوصفي من أكثر المناهج ملاءمة للاستعمال في إعداد الدراسة، وذلك بحكم أنَّه يعمل على توصيف الظاهرة بشكل وافي، ويسهم في إيجاد العلاقة بين أدواتها المختلفة، فضلاً عن إضفاء بعض التحليلات والتفسيرات اللازمة في سياقات متعددة.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وذلك على النحو التالي:

1. التعريف بالأداة لغةً واصطلاحاً وفق التعريفات التي استعرضها فقهاء اللغة العربية.
2. التعريف بالأداة (في) نحوياً وسقياً.
3. استعرض العديد من المعاني التي تنصرف إليها الأداة "في".
4. التعرف على أبرز المعاني للأداة "في" وفق رؤى فقهاء اللغة العربية المعاصرين واستعراض مواقفهم من رؤى علماء اللغة العربية السابقين.

أهمية الدراسة:

ترى الباحثة أنَّ الدراسة تتمتع بدرجة كبيرة من الأهمية، وبالنظر إلى موقف الباحثة فإن الدراسة مهمة لأنَّها تأتي ضمن اختصاص واهتمامات الباحثة في اللغة العربية، وبالتالي فإن كتابة الدراسة يحقق تطلعات شخصية مختلفة، وترى الباحثة أيضاً أن الدراسة مهمة لأنَّها تقدم للباحثين بحثاً جديداً قابلاً للقراءة في اللغة العربية، وهي بالتالي قد تسد جانباً لدى هؤلاء الباحثين بشكل يعطيهم فرصة لكتابة أبحاث في موضوعات أخرى ذات علاقة، ويمكن للباحثين العرب وغير العرب –المهتمين بنفس الموضوع– الحصول على بحث يساعدهم أو يفيدهم بأشكال مختلفة.

هيكل الدراسة:

- الإطار المنهجي للدراسة.
- المطلب الأول: التعريف بـ"الأداة"
- المطلب الثاني: الأداء "في"
- المطلب الثالث: (في) في رؤية المعاصرين
- الخاتمة

المطلب الأول: التعريف بـ"الأداة"

مفهوم الأداة:

تتعدد تعريفات الأداة في اللغة والاصطلاح على أشكال مختلفة، وذلك بالنظر إلى السياقات المختلفة التي يمكن أن تأتي فيها الكلمة، وبالنظر إلى الأداة في اللغة نجد انها تعبر عن الآلة أو الشيء الذي يجري استخدامه للمساعدة في تنفيذ بعض الأمور، ومن هنا نجد أنَّ لسان العرب قد أشار إلى "الأداة" ضمن مادة "أدا"، وتشير هذه الكلمة إلى كل ذي حرفة، فكل ذي حرفة يعد "أداة"، وبالتالي فهي آلته التي تقيم حرفته... ونلاحظ أنَّ أداة الحرب سلاحها. وينظر الجوهري إلى "الأداة" بمعنى "الآلة"، ويأتي الجمع على "أدوات"[1].

أمّا بالنظر إلى المعنى الاصطلاحي لكلمة "الأداة"، فنلاحظ أنَّها تستعمل بهدف الربط بين الكَلِم، ويمكن استعمالها كذلك بهدف الدلالة في غيرها[2].

وهناك العديد من المراجع تشير إلى معنى حِرَفِي للأداة وتربط بينه وبين المعنى الاصطلاحي لها، وهناك من يرى أنَّه إذا كانت الآلة تُقيِّم الحِرفَة (المهنة)، ففي المقابل؛ تُقيِّم الأداة الكَلِم وتربط بين أجزاءه المختلفة، هذا فضلاً عن العديد من وظائفها الأخرى في سياق المفردات والجمل[3].

السياق:

يحظى السياق بالعديد من التعريفات في السياقين اللغوي والاصطلاحي، ويمكن إدراك ذلك من خلال مطالعة العديد من مراجع اللغة العربية، وعند البحث في "السياق" لغةً يمكن مطالعة قول ابن فارس: (السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ، يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا، وَالسَّيِّقَةُ هي: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ، وَيُقَالُ: سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُهُ، وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)[4].

وفضلاً عما سبق عرضه؛ نلاحظ أنَّ لسان العرب قد أود معانٍ قريبة، وعلى سبيل المثال: (انْساقَت وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقاً أي تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة.... والمُساوَقة: بمعنى المُتابعة، أي كَأَنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا، والأَصل فِي تَساوَقُ تتَساوَق كأَنَّها لضعفِها وفَرْطِ هُزالِها تتَخاذَلُ ويتخلَّفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وساقَ إِلَيْهَا الصَّداق والمَهرَ سِياقاً وأَساقَه، وَإِنْ كَانَ دراهمَ

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص25.
(2) الوسيط، ج1، ص10.
(3) الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص37.
(4) مقاييس اللغة: ابن فارس، ج3، ص117.

أَو دَنَانِيرَ، لأَن أَصل الصَّداق عِنْدَ الْعَرَبِ الإِبلُ، وَهِيَ الَّتِي تُساق، فَاسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ وَغَيْرِهِمَا)[1].

وكما الحال بالنسبة للتعريف اللغوي للسياق؛ نلاحظ أن التعريفات الاصطلاحية تتعدد، ويمكن النظر إلى السياق باعتباره التتابع، (وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه)[2]، ولذلك يمكن اعتبار أنَّ السياق هو (تلك الأجزاء المختلفة التي تسبق النص أو تليه مباشرة، ويتحدد من خلالها المعنى المُراد)[3].

المطلب الثاني: الأداء "في"

ليس ثمَّة اتفاق بين علماء اللغة على تعريف حرف الجر، وبعيداً عن تعدد المعاني والمفاهيم يمكن اعتبار أنَّ (حرفُ جرٍ يجرُ الظاهر والمُضمر)[4]، وللحرف معانٍ ظرفية مختلفة، ولعل المعاني الظرفية تشير إلى معناها الأصلي، وعلى الأغلب لم يُثبت البصريون غيره، وفي السياق نفسه قال سيبويه: (وأما في فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغُلّ، لأنَّه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له، وكذلك: هو في القبة، وفي الدار، وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا، وإنَّما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله)[5].

((و(في) لهذا المعنى لجعل الشيء يحلُّ في غيره فيكون ما قبلها مختلفاً عمَّا بعده، وذلك نحو (السيف في الغمد، فالسيف مظروف والغمد ظرف وهما متغايران)[6].

وليس بخاف أنَّ حرف الجر "في" يعد من أكثر حروف الجر استقراراً، وهذا ما يؤكده العديد من النُّحاة، فيعتبروا أنَّ "في" من أكثر حروف الجر دلالة على الاستقرار[7].

أما الظرفية على وجه التحديد فهي تأتي إما حقيقةً أو مجازاً، وعند النظر إليها كحقيقة فتكون إمّا مكانية كما في ورد في القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ**﴾[الحجر: 45]. وتأتي أيضاً زمانية على النحو الوارد في القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿**وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِي أَيَّامٍ**

(1) لسان العرب: ج10، ص166.
(2) الوسيط، ص465.
(3) المصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص52.
(4) المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص 235.
(5) الكتاب، ج4، ص226.
(6) خضير، محمد أحمد، الأدوات النحوية ودلالتها في القرآن الكريم، ص67.
(7) معجم حروف المعاني، ص751.

مَّعدُودَٰت﴾[البقرة: 203]، ولعل من اللطيف أن الحالتين اجتمعتا في القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿**غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِي أَدنَى ٱلأَرضِ وَهُم مِّن بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغلِبُون فِي بِضعِ سِنِينَ**﴾[الروم: 2-4][1].

وعند النظر إليها في حالة الظرفية المجازية، فنلاحظ أن الظرف والمظروف يكونان فيها معنيين أو يكون الظرف معنى ويكون المظروف ذاتاً أو العكس تماماً[2]، ويمكن التعرف على مثل هذه الحالة من القرآن الكريم على النحو الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَلَكُم فِي ٱلقِصَاصِ حَيَوٰة يَٰأُوْلِي ٱلأَلبَٰبِ**﴾[البقرة: 179].

المعاني التي تخرج إليها (في):

1) المصاحَبة بمعنى (مع):

تجيء "في" بمعنى "مع"، وتكثر الشواهد التي تؤكد هذه الحالة، ولذلك نجد أنَّ بعض النُّحاة والمفسرين ذهبوا إلى أنَّ المصاحبة تأتي من معاني "في"، والمصاحبة هنا بمعنى (مع)، وواستدلوا على هذا الحالة في بعض آي القرآن الكريم، وخاصة عند النظر إلى قوله تعالى: ﴿**قَالَ ٱدخُلُواْ فِي أُمَمٖ قَد خَلَت مِن قَبلِكُم مِّنَ ٱلجِنِّ وَٱلإِنسِ فِي ٱلنَّارِ**﴾[الأعراف: 38]، أي ادخلوا النار "مع" أمم رحلت من قبلكم من الجن والإنس على السواء[3]، ومن الواضح أن هذه النيابة تسمى "مجازاً"[4]، وهناك من اعتبر أنَّ التقدير جاء كما لو كان نص العبارة "ادخلوا في جملة أمم" فحذف المضاف[5].

2) الاستعلاء بمعنى (على):

يأتي حرف "في" كما لو أنه حرف "على"، ولعل هذه واحدة من مزايا هذا الحرف التي تميزه عن غيره من حروف الجر، ومن الواضح أن هذا المعنى يعدُّ من أبرز المعاني التي يتمتع بها حرف "في" على نحو ما ذكر بعض علماء اللغة العربية، حيث تباينت آراؤهم حول مجيء الحرف "في" بمعنى "على"، وكان من الملاحظ أنَّ القآن الكريم قد أشار إلى هذا الحرف بالاستعلاء، وللتحق من

(1) حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، ص247.
(2) مصابيح المغاني، ص315، والنحو القرآني شواهد وتطبيق، ص408.
(3) حروف المعاني للزجاجي، ص83، والأزهية، ص268، وشرح التسهيل، ج3، ص155، والإتقان، ص1131، وتفسير ابن أبي زينيين، ج1، ص306، وتفسير القرآن العظيم، ج3، ص410، وروح المعاني، ج8، ص116، وفتح القدير، ج2، ص232.
(4) الكشاف، ج14، ص73.
(5) مغني اللبيب، ج1، ص147.

ذلك يمكن الرجوع إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخلِ**﴾[طه: 71] ، أي لأصلبنكم على جذوع النَّخل[1].

وإذا جاءت "في" بمعنى "على" فإن الأخيرة تأتي بمعنى "في"، وهذا يعني أنَّ ثمَّة علاقة تبادلية بين الحرفين، ولذلك نجد أنَّ الفراء يشير إلى أنَّ "في" تكون بمعنى "على"، كما تكون (على) بمعنى (في)، حيث إنَّ قوله **(وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)** يصلح "على" فِي موضع "فِي" وإنَّما صَلحت "فِي" لأنَّهُ يرفع فِي الخشبة فِي طولها فصلحت (فِي) وصلحت (عَلَى) لأنَّهُ يرفع فيها فيصير عليها[2].

نتيجة للعرض السابق نلاحظ أنَّ ليس ثمَّة فرق عند الفراء بين المعنيين، ولم يكن هذا رأي الفراء فحسب، بل ثمَّة من العلماء من وافقه الرأي، فهذا الطبري[3]، والخازن[4]، وابن مسعود[5]، والشوكاني[6]؛ كلهم ما أيدوه في الرأي.

وهناك من العلماء مَن نظر إليها على أنَّها بمعناها من الظرفية، وفي هذا السياق فقد ذهب الزمخشري إلى أنَّه "شبَّه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه، فلذلك قيل فِي جُذُوعِ النَّخْلِ))[7]. وهذا "ابن يعيش" توافق في الرأي مع سلفه، ورفض مجيء "في" بمعنى "على"، ويبرر رأيه بالقول: "فليست في معنى "عَلى" على ما يظنّه مَن لا تحقيقَ عنده، وإنّما لمّا كان الصلب بمعنى الاستقرار والتمكّن، عُدّي بـ (في) كما يُعدَّى الاستقرار، فكما يُقال: تمكّن في الشجرة، كذلك ما هو في معناه"[8]، نحوُ قول الشاعر[9]:

بَطَلٌ كأنّ ثِيابَه في سَرْحَةٍ * يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتَوْأَمِ**

أي على سرحة.

(1)المقتضب، ج2، ص319، والأزهية، ص267، و الجنى الداني، ص151.

(2) معاني القرآن للفراء، ج2، ص186.

(3) جامع البيان، ج16، ص115.

(4) الخازن، ج3، ص438.

(5) إرشاد العقل السليم، ج4، ص295.

(6) فتح القدير، ج3، ص376.

(7) الكشَّاف، ص661.

(8) شرح المُفصل، ج8، ص21.

(9) البيت لعنترة بن شداد، وهو من شواهد المفصل، ج8، ص21، والمغني، ج1، ص175، والأزهية، ص267.

وذهب الرضي إلى "أنَّها بمعناها لتَّمكن المصلوب من الجذع تمكن المظروف من الظرف"[1].

المطلب الثالث: (في) في رؤية المعاصرين:

1) (في) بمعنى (مع):

جرى في الأسطر السابقة الحديث عن (في) كأداة تدلُّ على الظرفية، وتم التأكيد على أنَّ هذه الظرفية هي ((ظرفية تضمن واحتواء))[2]، ومن المؤكد أنَّ بعض الحروف تدل على هذا المعنى بشكل مجازيٍ (كحرف الباء أو على) ، لكن نلاحظ أن هناك بعض علماء اللغة العربية القدماء قد توَّسعوا في شرح ذلك، فجعل بعضهم من معاني "في" "المُصاحَبة"، واستدلوا ببعض آي القرآن الكريم وخاصة عند قوله تعالى: ﴿ **قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ**﴾ [الأعراف: 38].

وهناك من علماء اللغة العربية لا يتفقون مع الشرح أعلاه، وذلك باعتبار أنَّ اللغة العربية دقيقة جداً أوَّ كل تركيب لغوي يمتلك معنىً محدداً، ويذهب "فاضل السامرائي" إلى أنَّ هناك فرقٌ واضح بين المعنيين، حيث ميَّز بين "دخل معهم" و "دخل فيهم"؛ و "دخل فيهم" تشير إلى أنَّه أصبح واحداً منهم، أما بالنظر إلى معنى "دخل معهم" فيمكن ملاحظة أنَّه مصاحب لهم وليس منهم[3].

هناك العديد من الشواهد اللغوية والأمور المنطقية التي تعزز قول السامرائي، ولكنها شواهد ليست نهائية في مسألة ذات علاقة بالعلوم الإنسانية، وجاء في كتاب " معاني النحو" ما يلي: (ثم ألا ترى أنك تقول (ذهب خالد مع القوم) وإنْ كان منعزلاً عنهم غير مُختلط بهم، ولا تقول (ذهب فيهم) إلا إذا دخل في جملتهم، وانغمر في مجموعهم , والدليل على أنَّها بمعناها وليس بمعنى (مع) أنَّه لا يصح أن تقول (اذهب في خالد)، ولا (ادخل فيه)، كما تقول: (اذهب مع خالد، وادخل معه)؛ لأنَّ خالد لا يكون ظرفاً لك بخلاف (اذهب في القوم، وادخل فيهم)؛ فإنَّ القوم يكونون كالظرف له يحتوونه)[4].

وقد اتفقت رؤية الدكتور شوكت طه مع ما ذهب إليه الدكتور السامرائي في أنَّها على بابها من الظرفية، وأنَّ هناك فرقٌ بين المعنيين حيث يرى ((أنَّ الظرفية تفيد استقرار الشيء وتمكنه في الظرف، في حين أنَّ المصاحبة تفيد مقارنة الشيء ومقاربته، كما قال ابن فارس: ((صحب: الصاد

(1) شرح الرضي، ج4، ص279.

(2) معاني النحو، ص80.

(3) المصدر السابق، ص51.

(4) المصدر السابق، ص51.

والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة الشيء ومقاربته) وليس من شك أنَّ الأول أشدُّ اقتراناً بالشيء، وأكثر اقتراباً منه، فكل ظرفية مصاحبة من باب أولى، وليس العكس صحيح))[1].

ومن المهم تأمل السياق المقطعي في بعض آي القرآن الكريم وخاصة ذلك الذي يبدأ عند قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱستَكبَرُواْ عَنهَا أُوْلَٰٓئِكَ أَصحَٰبُ ٱلنَّارِ هُم فِيهَا خَٰلِدُونَ (36) ... قَالَ ٱدخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَد خَلَت مِن قَبلِكُم مِّنَ ٱلجِنِّ وَٱلإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَت أُمَّةٞ لَّعَنَت أُختَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ**﴾ [الأعراف: 36-37].

تدبرنا حقيقة (في) الدالة على معناها من الظرفية حيث كان حيث كان السياق سياق خطاب للكافرين المكذبين بآيات الله ودلائله والمفترين على الكذب (فمن أشنع ظلماً ممن تقوَّل على الله مالم يقله أو كذَّب ما قاله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أي: ما كُتب لهم من الأرزاق والأعمار)[2].

ثم يقول لأولئك المكذبين من كفار العرب (أدخلوا في أمم) أي: كائنين في جملة أمم، وفي غمارهم مصاحبين لهم من الجن والأنس من أشباهكم وعلى صفاتكم (قد مضوا على ما مضيتم عليه من الكفر والاستكبار فاستحق الجميع الخزي والبوار)[3].

ومن الملاحظ أنَّ التعبير القرآني "أدخلوا في أمم" يشير إلى شدة العذاب الذي يتلقونه أولئك الأشخاص المشار إليهم في الآية القرآنية، وكذلك إلى عظيم حقارتهم؛ فلو تخيلنا المشهد سنلاحظ أنَّهم جاثمين في وسط تلك الجموع المجرمة التي كُتب لها العذاب فيقاسون العذاب معاً في الوقت الذين لكل يراقبهم ويراهم الجميع، حيث إنَّ عذابهم سيكون على هذه الشاكلة في يوم القيامة، فهم ابعين في وسط الأمم ، هذا المشهد يشير إلى كثرة أعداد الكافرين وحقارة شأنهم وشأن القادمين إليهم من الأمم الأخرى)[4].

وربما نستطيع القول إن الآية القرآني قد عدلت عن التعبير بحرف المصاحبة (مع) إلى حرف الظرفية، وذلك بهدف التدليل على كونهم جزءً ثابتاً من جملة أهل النار[5].

---

[1] من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص338.

[2] ينظر: الكشَّاف: 362، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي، ج1، ص566.

[3] ينظر الكشَّاف: 362، وتفسير السعدي: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص288.

[4] من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم:156، ومن أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم: د. يوسف بن عبدالله الأنصاري: مجلة جامعة أم القرى والعلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها: م5 / العدد 27 / ص748.

[5] القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص182.

2) (في) بمعنى (على):

حظيت إنابة الحرف (في) عن الحرف (على) بمساحة وافرة من اجتهادات ونقاشات علماء اللغة العربية المعاصرين، واختلفت رؤى المعاصرين في هذه المسألة، وعند الحديث عن إنابة الحرف (في) عن الحرف (على) من آي القرآن الكريم نجد أنَّ قوله تعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ ٱلنَّخلِ**﴾ [طه: 71] أكثر ملاءمة لهذه المسألة.

وليس ثمَّة اتفاق بين العلماء على إنابة الحرف (في) عن الحرف (على)، وتكفي الإشارة إلى أنَّ الدكتور محمد نديم قد أنكر نيابة الحرف (في) عن (على) في الآية المذكورة، وذهب إلى أنَّ ما رد فيها فقط من باب التضمين، ويعتقد أنَّ الفعل (أُصلبنَّكُم) يأتي بمعنى (أثوينَّكم) أو (أكنكم)، واستدل نديم على رأيه فيما ورد من بعض آيات الذكر الحكيم[1]، على النحو الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ ثَاوِيا فِي أَهلِ مَدينَ**﴾[القصص: 45]، وكذلك الحال عند قوله تعالى: ﴿**أَو أَكنَنتُم فِي أَنفُسِكُم**﴾ [البقرة: 235].

واستكمالاً لما سبق ذكره؛ يرى نديم أنَّ المتعدي بـ (في) يُبقي الحرف على أصله ولا يغير فيه شيئاً، فهو إما أن ينوب عن غيره فغير محتفل به، فهذه الحروف تهي عن حفظ أنفسها، وتحمُّل خواصها وعواني ذواتها، وإمَّا التضمين فقد جمع الصلب فغير محتفل به، فهذه الحروف تهي عن حفظ أنفسها، وتحمُّل خواصها وعواني ذواتها، فكيف بها تتجشم احتمال سواها، وإمَّا التضمين فقد جمع الصلب إلى معنى التثويه والاكنان لإفادة المعنيين جميعاً))[2]، أي: أنَّ الأداة (في) في رؤية الدكتور نديم تفيد الظرفية، حيث يقول نديم: "جيء بالحرف (في) لإفادة الظرفية والاكنان، فتكون الجذو قبوراً وأضرحة لهذه الأشلاء المُمثل بها لا لتثبيتها وتسميرها، ولا تكون مِشجباً تتعلق عليها"[3].

وهناك من علماء اللغة العربية من يتفق مع ما ذهب إليه الدكتور نديم؛ فهذا الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة يتوافق مع سلفه، ويرى أنَّ (تضمين الفعل (لأصُلبنَّكُم) معنى فعل آخر يتعدى بحرف الجر (في) فعدَّى بتعديته، ولعل أصل الكلام: لأصلبنَّكم على جذوع النخل، أي لأثبتنَّكم عليها أو فيها بالمسامير التي تدخل في الجذوعوتثبت فيها، وفي هذه الحالة نابت التعدية بحرف الجر (في) مناب الفعل الذي حُذِف وضُمِن الفعل المذكور معناه)[4].

---

[1] هامش التضمين النحوي في القرآن الكريم، ص435-436.

[2] التضمين النحوي، ص436.

[3] المصدر السابق، ص436.

[4] البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها: عبدالرحمن حسن حبنكة، ج2، ص239.

من الواضح أنَّ "في" قد حظيت باهتمام كبير، ويرى الدكتور "عبدالله محمد الجيوسي" إلى أنَّ هناك ملحظ نفسي يمكن أن يؤديه الحرف "في" في الآية نفسها، ويكشف عنه سياق الموقف حين في قوله تعالى على لسان فرعون مهدداً سحرته الذين انقلبوا عليه وآمنوا بموسى ودينه: ﴿**قَالَ ءَامَنتُم لَهُۥ قَبلَ أَن ءَاذَنَ لَكُم إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُم وَأَرجُلَكُم مِّن خِلَٰف وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ ٱلنَّخلِ وَلَتَعلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابا وَأَبقَىٰ**﴾ [طه: 71].

ونلاحظ هنا أنَّ حرف الجر "في" ينقل القارئ إلى معالم الجو النفسي الذي كان يعيشه الطاغوت فرعون في تلك اللحظات؛ فالحرف يكاد لو قُدِّر له أن يتكلم لنطق بمدى الحنق والغضب الذي عاشه فرعون في تلك اللحظة))[1]، حيث يرى فرعون عرشه يصاب بهزَّات كبيرة، وكذلك الأرض من تحت قدميه بعد هزيمة الأشخاص أو السحرة الذين ظن أنهم سيغلبون خصمه حد القهر، ويسهمون في تثبيت دعائم ملكه، فتحولوا من جند يدافعون عنه إلى أعداء يحاربونه ويناصرون خصمه الذي تربَّى بين أسوار القصر، ليهددهم فرعون بالتعالمل معهم وفق أشد أنواع العذاب مُعلناً عن قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وكذلك صلبهم على جذوع النخل، ولذلك جمع لهم بين القطع والصلب ولعل تلك أفظع موتة يمكن للإنسان أن يموتها، فهي تجمع بين المُثلة والألم والتشهير[2].

ونتيجة التعبير عن شدة الأخذ وعدم الرحمة بالمصوبين نلاحظ أنَّ حرف الوعاء أتى دالاً على أنَّهم سيشدون إلى الجذع شداً بالغ القوة والقسوة، لدرجة أنَّ المصلوب يكاد يواريه الجذع ويشتمله، على أن تدخل أجزاء المصلوب في المصلوب عليه فكأنَّه ليس عليه بل هو في حيزه[3]، ومن هنا يمكن اعتبار أنَّ العدول من حرف الاستعلاء إلى حرف الظرفية قد جاء بهدف الربط الشديد، وهذا الأمر يتناسب بشكلٍ كبيرٍ مع ألوان العذاب.

وعند تدقيق النظر إلى ما ذهب إليه الدكتور محمد نديم بتَّضمن الفعل (صلب) معنى (ثوى وكَنَّ)؛ يمكننا اعتبار أنَّ دلالة الفعل (صلب) تختلف عن دلالة الفعلين (ثوى وكَنَّ) معنىً وسياقاً: فـ(الصلب) هو تعليق الإنسان تحضيراً للقتل، وقيل هو شدّة صلبه على الخشب[4]. أمّا (ثوى) فهو يشير إلى النزول بهدف الإقامة[5]، وبالتزامن مع الاستقرار يُقال: ثوى يثوي ثواءً، ولعل هذا قريب

---

(1) التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص251.

(2) قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول: محمد متولي الشعراوي، ص304، ومن أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص127، والأساس في التفسير لسعيد حوى، ص3372.

(3) من أسرار حروف الجر، ص127.

(4) مفردات ألفاظ القرآن، ص489.

(5) الكليات: أبو البقاء الكفوي، ص329.

إلى حد كبير بما وفق في بعض آي القرآن الكريم على نحو قوله تعالى: **(وَمَا كُنتَ ثَاوِيا فِي أَهلِ مَدِيَنَ)**[1]، أي (مُقيماً في أهل مدين كمقام موسى وشعيب تتلوا عليهم آياتنا لتذكرهم بالوعد والوعيد)[2].

أمّا (أكَنَّ) (فالكنُّ: هو ما يحفظ فيه الشيء)[3]، ومنه؛ (أكننت الشيء: أي أضمرته، ويستعمل في الشيء الذي يخفيه الإنسان ويستره عن غيره وهو ضد أعلنت وأظهرت)[4]. ومنه (وأكننت بما يستر في النفس) وذلك على النحو المذكور في القرآن الكريم وخاصة عندن بعض الآيات مثل قول تعالى: **(أو أكننتم في أنفسكم)** [البقرة: 235][5]، وكذلك عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ لَقُرءَان كَرِيم فِي كِتَٰب مَّكنُون**﴾[الواقعة: 77–78]، ويمكن ملاحظة أنَّ قد (عُنيَّ بالكتاب المكنون: اللوح المحفوظ)، ولعل ذلك إشارة إلى كونه محفوظاً عند الله تعالى[6].

ونتيجة لما تمَّ عرضه في الأسطر السابقة يمكن اعتبار أنَّ معنى كلمة (أكننتم) يتمحور حول بعض المعاني مثل الحفظ والاستتار والتكتيم على شيء او كتم بعض الأمور، ولعل هذا الأمر لا يناسب سياق الآية المذكورة.

يبدو واضحاً أنَّ حرف "في" الدال على الظرفية هو الذي يحقق المعنى المراد والمقصد من النَّص، وإلا لا يعجز الله تعالى أن يأتي بالإرادة على الاستعلاء إلا لكونه "في" ملائمة لسياق الموقف والنَّص.

الخاتمة:

بدا واضحاً من العرض السابق أنَّ الأداء "في" قد حظيت بمساحة واسعة من نقاشات علماء اللغة العربية أكثر من غيرها من الأدوات وحروف الجر، وذلك كون أنَّ هذه الأداء جاءت باستخ\امات متعددة في القرآن الكريم الذي ساعد في المحافظة على مفردات اللغة العربية وحفظها من الاندثار في ظل هزائم الأمة العربية والإسلامية من الغُزاة، وهناك العديد من المعاني التي تخرج إليها (في)، فتأتي بمعنى (مع)، وتأتي بمعنى الاستعلاء (على).

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

---

[1] مفردات ألفاظ القرآن، ص181.
[2] معالم التنزيل، ج6، ص210.
[3] مفردات ألفاظ القرآن، ص726.
[4] الكليات، ص163.
[5] مفردات ألفاظ القرآن، ص726.
[6] المصدر السابق، ص726.

1. تعد الأداء "في" من أكثر الأدوات استخداماً في اللغة العربية، وهذا ما ظهر في مواضع مختلفة من آي القرآن الكريم.

2. هناك تنوع واختلاف في اتجاهات علماء اللغة المعاصرين في الكشف عن المعاني التي جاءت بخصوص الأداة (في)، وذهب البعض الآخر إلى القول باختلاف السياقات المتعددة التي ترد بها.

3. اتخذ بعض المعاصرين من السياق بنوعيه قرنية للكشف عن المعاني والاسرار الكامنة وراء الأداة (في) في التركيب.

علاوة على ما سبق ذكره من نتائج؛ توصي الدراسة بضرروة إجراء الدراسات والأبحاث المتخصصة في اللغة العربية، مع ضرورة الوقوف على الدراسات اللغوية ذات العلاقة المباشرة بالقرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتب:

1. أبي السعود محمد بن محمد العمادي (2015): ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

2. ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحيائي (1991): شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، ط1، دار هجر.

3. ابن هشام جمال الدين (1964): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن مبارك، محمد علي حمد الله، راجحة سعيد الافغاني، ط1، دار الكنز.

4. ابن يعيش، موفق الدين أبي البقاء (2001): شرح المفصل، تحقيق اميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية.

5. الاصفهاني، الراغب (2009): مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط2، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.

6. الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

7. البغدادي، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (2004): تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، طبعه وصححه: محمد شاهين، ط3، دار الكتب العلمية.

8. الجيوسي، عبد الله محمد (2006): التعبير القرآني والدلالة الزمنية، ط1، دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية.

9. حبنكة، عبد الرحمن (1996): البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقها، ط1، دمشق: دار العلم، بيروت: الدار الشامية.

10. الحمد، علي توفيق (1993): المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ط2، دار الأمل.

11. حوى، سعيد (1991): الأساس في التفسير، ط1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

12. الخضري، محمد الأمين (1989): من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ط1، مكتبة وهبة للطباعة والنشر.

13. داوود، محمد محمد (2000): القرآن وتفاعل المعاني: دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم، ط1، القاهرة: دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع.

14. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (1984): حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

15. الزمخشري، محمود بن عمر (2009): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، ط3، بيروت: دار المعرفة.

16. السامرائي، فاضل صالح (2000): معاني النحو، ط1، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

17. سعد، محمود: حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، منتدى الازبكية.

18. سيبويه، عمر بن عثمان: الكتاب، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي.

19. السيوطي، جلال الدين: الاتقان في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية.

20. الشريف، محمد حسن: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

21. خضير، محمد أحمد: الأدوات النحوية ودلالتها في القرآن الكريم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

22. الطبري، محمد بن جرير (2000): جامع البيان عن تأويل القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة.

23. فاضل، محمد نديم (2005): التضمين النحوي في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط1.

24. الفخر الرازي، محمد بن عمر (1981): التفسير الكبير، ط1، دار الفكر.

25. الفراء، يحيى بن زياد (بدون سنة نشر): معاني القرآن، ط2، القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة.

26. الكفوي، أيوب بن موسى (بدون سنة نشر): الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية، وضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المصري، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

27. المبرد، محمد بن يزيد (1994): المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عظيمة، ط4، القاهرة، وزارة الأوقاف المصرية.

28. محمود شوكه طه: من أسرار حروف الجر في القرآن الكريم، ط1، دار رواد المجد، دار العصماء.

29. المرادي، الحسين (1992): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية.

30. الموزعي، محمد (1993): مصابيح المغاني في حروف المعاني، تحقيق: عارض بن نافع بن ضيف الله العمري، ط1، دار المنار.

31. الهروي، علي (2007): الازهية في علم الحروف، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.